

تصاعد العمليات العسكرية في المدن منذ نهاية الحرب الباردة.

أ/ محمد خوجة



والإيديولوجيات المتطرفة، كقوى جديدة تسيطر على المناطق الحضرية. وتتحدد إشكالية هذه الدراسة في تحديد أسباب وانعكاسات تزايد العمليات العسكرية في المدينة منذ نهاية الحرب الباردة، والتحقق من فرضية أن المدينة هي مجال الصراع في القرن الواحد والعشرين.

1- مفهوم العمليات العسكرية في

المدن: العمليات العسكرية هي جزء من الحرب، وتعتبر أخطر مراحل الحرب، لأنها المرحلة التي تنقل الوضع من حالة السلم إلى حالة الحرب، العمليات العسكرية جزء من الحرب التي تظل "فن حوار الإرادات تستخدم القوة لحل خلافاتها"⁽²⁾.

وتشمل العمليات العسكرية طيفا واسعا من النشاطات العسكرية، فهي تنفيذ مهام إستراتيجية أو عملياتية أو تكتيكية، أو خدمة أو تدريب أو إدارية، وهي أيضا عملية الاستمرار في القتال، بما فيها التحرك والإمداد والهجوم، أو الدفاع والمناورة المطلوبة

من المفاهيم التي تناولتها المراجعات في الأوساط الإستراتيجية والبحثية، مفهوم العمليات العسكرية في المناطق الحضرية، فمنذ نهاية الحرب الباردة أضحت المدينة أحد أهم ميادين العمل العسكري، بل إن روجرز ر. سيللر R. SPILLER يرى أن جزءا مهما من نشاط القوات المسلحة الأمريكية في المستقبل سيكون في المناطق الحضرية⁽¹⁾.

وتكتسي ظاهرة الحرب داخل المدن أهمية بالغة الخطورة والتعقيد، لأن المدينة هي مكان تمركز السلطة والثروات والرموز الوطنية. تاريخيا اكتست السيطرة على المناطق الحضرية عنصرا أساسيا في تشكل الدولة الوطنية واستقرارها. ففي المدينة تتجسد معالم الحضارة وتوجد مراكز ثقل العدو التي تتطلب استهدافها في حالة الحرب، كما أن تفكك الدولة الوطنية في مناطق كثيرة، قد تجسد في بروز التنظيمات الإثنية والعرقية

1- المباني والمنشآت المنتشرة في المدينة، والتي تتكون من المساحات السطحية الثلاثية الأبعاد.

2- المجال الجوي فوق المدينة.

3- السكان غير المقاتلين والذين تترايط وتتشابك مصالحهم، بجملة من النشاطات المتداخلة ذات الطابع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والتي يتم تدعيمها بجملة من البنية الأساسية المادية والخدماتية⁽⁴⁾.

2- التطور التاريخي للعمليات

العسكرية في المدن: منذ القدم حذر سن تسو SUN TZU من مغبة الاندفاع نحو الحرب داخل المدن، فقد اعتبر "أن أسوأ السياسات هي مهاجمة المدن، وأنه يستحسن أن لا تهاجم المدن إلا إذا كان لا خيار غير ذلك"⁽⁵⁾، إذ أن سن تزو أعطى الأولوية لهزيمة القوات المسلحة وليس لمحاصرة المدينة، وبما أن الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى كما بين كلوزفيتز، فإن السيطرة على مدن اعتبرت تمثل الهدف السياسي والعملياتي لأي نزاع عسكري، بل وتمثل المحصلة النهائية للنصر أو الهزيمة في نهاية أي نزاع مسلح.

قد بين التاريخ العسكري أنه منذ القرن السابع عشر، سعت جيوش كثيرة إلى السيطرة على المدن بالحملات العسكرية

لكسب أهداف أية معركة أو حملة، ويخص ذلك كافة الأصناف العسكرية.

إن العمليات العسكرية هي استخدام القوات العسكرية لتنفيذ أهداف إستراتيجية أو عملياتية أو تكتيكية من خلال تقييم وتنظيم وتكامل وتنفيذ استراتيجيات وحملات وعمليات رئيسة ومعارك.

ويقصد بالعمليات العسكرية في المدن، كافة العمليات التي يقوم بها الجيش لتطهير أو تحرير كامل للمدينة أو قسم منها، بصنف واحد من القوات المسلحة، أو باشتراك كل صنوف الأسلحة الثقيلة والخفيفة والمتوسطة، وحسب العقيدة الأمريكية المشتركة فإن العمليات المشتركة في المناطق الحضرية هي "جميع العمليات المشتركة المخططة، والتي أجريت عبر مجموعة من العمليات العسكرية على، أو ضد أهداف داخل وخارج منشآت طبوغرافية معقدة من صنع الإنسان، وتضاريسها الطبيعية المجاورة، حيث البناء وكثافة السكان غير المقاتلين هي السمات الغالبة"⁽³⁾.

إن أهم ما يميز المناطق الحضرية، هي خاصية التعقيد والبيئات الحيوية المنتشرة بها، ويطلق ثالوث المناطق الحضرية على الفضاءات التالية المشكلة للمدينة:

وفي المرحلة الأولى من الحرب البروسية الفرنسية 1870-1871، بعد هزائم الجيش الفرنسي الأولي على الحدود، استقرت خطة القائد البروسي أوتو فون بسمارك على حصار باريس مدة طويلة، لتحقيق تهيئة نفسية تسهل قبول خطة السلام التي يريد فرضها على الحكومة الفرنسية⁽⁷⁾.

وتبين الحروب الرئيسية الأخرى للقرن التاسع عشر، أن أغلبها كانت حروب للسيطرة على المدن الرئيسية، فخلال الحرب الأهلية الأمريكية 1861-1865، استهدفت عمليات جيش الاتحاد في شرق البلاد ريتشموند RICHMOND منذ بداية النزاع في 1861 حتى نهايتها في عام 1865، والمدن الغربية على نفس القدر من الأهمية. إلا أن تمكنت القوات الاتحادية بقيادة الجنرال يوليس غرانت Ulysses Grant أن تستولي على مدينة فيكسبيرغ في جويلية 1863 مباشرة بعد معركة قتسبيرغ GETTYSBURG، واستطاعت القوات البحرية التابعة للاتحاد التحكم في نهر المسيسيبي، وبالمثل كانت حملة وليام شيرمان WILLIAM SHERMAN عام 1864 تهدف إلى السيطرة على أتلانتا ATLANTA ثم سافانا savana، كوسيلة للقضاء على الروح المعنوية للقوات الكونفدرالية وإنهاء استعدادها لمواصلة الحرب⁽⁸⁾.

بعد حسم المواجهة العسكرية خارج المدن، وأن المدينة لم تكن هدفا عسكريا في حد ذاته، إلا لما تمثله بالنسبة للدولة من الناحية الاقتصادية والمالية، وتأثير سقوطها على تغيير معنويات القوى بين الأطراف المتنازعة.

وفي القرن التاسع عشر، كانت حملات نابليون بونابرت العسكرية تهدف إلى تدمير توازن جيوش أعدائه، من خلال الموازنة الدقيقة بين الوسائل والغايات، وبين الجهود والعراقيل، كان هدفه الرئيس هو سحق القوات الميدانية، لتحطيم إرادة الصمود لدى خصومه، وكانت مناوراته السريعة تهدف إلى تدمير جيش أعدائه، ومن ثمة تسهيل عملية الاستيلاء على المدن الرئيسية⁽⁶⁾.

ففي حملة أولم OLM عام 1805 كان الهدف هو الوصول إلى العاصمة فيينا، وفي حملة عام 1806 كان الهدف هو برلين، وهكذا فإن الانتصارات التي حققها نابليون في معركة أوسترليتز Austerlitz قد مكن القوات الفرنسية من السيطرة على العاصمة النمساوية والبروسية. وبالمثل، فإن حملة نابليون عام 1812 على موسكو استهدفت الأمل في أن الاستيلاء على العاصمة الروسية من شأنه كسر الروح المعنوية للجيش الروسي، ودفع القيادة الروسية إلى عدم المقاومة والاستسلام.

هدف إستراتيجي، إذ أن نجاحها كان كفيلا بإحداث انهيار للاتحاد السوفياتي، وسيطرة الألمان على مناطق اقتصادية وحيوية. ويمكن القول إن الصعود العسكري لليابان قد اعتمد على السيطرة على المدن، فقد بدأت الحملة اليابانية في المحيط الهادئ بالتركيز كلما أمكن ذلك على الاستيلاء على مدن (في الفلبين مانيل، في ماليزيا وسنغافورة، وعلى رانغون في بورما).

وطوال فترة الحرب العالمية الثانية، أجبرت الجيوش النظامية لدول الحلفاء أو المحور على القتال داخل المدن، أو من أجل استعادة المدن، إذ أن 40 % من العمليات العسكرية في الحرب العالمية الثانية كانت في المدن⁽¹⁰⁾.

وخلال الحرب الباردة، اعتمدت جيوش حلف شمال الأطلسي وحلف وارسو على رؤية لا تأخذ المدينة كميدان أساسي للمعركة، إذ أن هزيمة العدو كانت تعتمد على قوة نارية ضخمة تقليدية ونووية، خارج المناطق الحضرية⁽¹¹⁾، لكن ابتداء من منتصف سنة 1970 بدأت القيادة الأمريكية والألمانية الغربية تأخذ في الاعتبار إمكانية مواجهة قوات وارسو في المناطق الحضرية، سواء في تعطيل وتأخير عمليات تدفق قوات حلف وارسو، على اعتبار أن المدن تشكل حاجزا قويا يساعد مع تكنولوجيا الأسلحة

وفي بداية القرن العشرين كانت جميع العمليات العسكرية تتجه نحو المدن، ولكنها لا تلبث أن تستقر خارج المناطق الحضرية، ففي الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 كانت خطة الهجوم الألماني شليفن Schlieffen لا تهدف إلى تدمير الجيش الفرنسي، ولكن كانت تسعى إلى السيطرة السريعة على باريس المركز السياسي والإداري لفرنسا، باختراق بلجيكا والالتفاف على ميمنة الجيش الفرنسي، وذلك لإنهاء الحرب على الجبهة الغربية مع فرنسا، وإعادة توجيه القوات إلى الجبهة الشرقية لمواجهة تقدم القوات الروسية، وكانت هذه الخطة تستجيب إلى ضرورات سياسية أكثر منها عسكرية، وهي مواجهة تحالف دول الوفاق (فرنسا، بريطانيا وروسيا)⁽⁹⁾.

وفي الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945 زادت نسبة العمليات العسكرية داخل المدن، بعد أن جرت ألمانيا النازية بنجاح إستراتيجية الحرب الخاطفة في دول كثيرة، فقد كان الهجوم الألماني السريع على فرنسا عام 1940، كان يهدف إلى السيطرة على باريس، بعد نجاح أولى المعارك التي دمرت كثيرا من جيوش الحلفاء. وحسب بعض المحللين فإن عملية بابروسا BARBAROSSA التي استهدفت الوصول والسيطرة على موسكو في خريف عام 1941، كانت أهم

- المضادة، على تباطؤ أو حتى منع تقدم القوات السوفيتية في مسرح قتال أوروبي. 2001.
- التدخل الأمريكي في أفغانستان عام 2001.
- التدخل الأمريكي في العراق عام 2003.
- تدخل القوات الإسرائيلية في غزة 2008.
- وحسب جان لوي دي فور-JEAN LOUID DU FOUR فإن العنف الناشئ عن محاصرة المدن في يوغسلافيا سابقا، قد أدى إلى تحرك الدول الكبرى، لفرض مناطق الإغاثة الإنسانية تطبيقا للاتحة الأمم المتحدة من طرف الجمعية العامة بتاريخ 14 ديسمبر 1990، وقد أدخل مجلس الأمن في قراره الذي اتخذه بتاريخ 30 ماي 1992 تعديلا مهما عندما أصر على أن: "تنشئ الأطراف المتنازعة فورا الشروط الضرورية لتوزيع المساعدة الإنسانية في سراجيفو والمدن الأخرى للبوسننة والهرسك، بما في ذلك إنشاء منطقة أمنية تضم سراجيفو والمطار التابع لها"⁽¹²⁾.
- وقد بينت الحروب التي وقعت بعد نهاية الحرب الباردة، أن المدينة تظل دائما الضحية الأكثر تضررا من بين ميادين القتال التي وقعت بها هذه الحروب، فسواء تعلق الأمر بالحرب في يوغسلافيا سابقا، أم منطقة الشرق الأوسط أم في القوقاز، كانت المدينة جزءا أساسيا من ميادين القتال، وحسب
- المضادة، على تباطؤ أو حتى منع تقدم القوات السوفيتية في مسرح قتال أوروبي. 2001.
- ولكن بعد نهاية الحرب الباردة، بدت هذه الأساليب غير كافية، خاصة بعد تزايد عمليات حفظ السلام والشرطة في المدن للأمم المتحدة، والتي عادة ما تكون مصحوبة بمهام عمليات قتالية، وتشير وتيرة استخدام القوات المسلحة بعد الحرب الباردة إلى تزايد مطرد لمنحى زيادة تدخل القوات المسلحة داخل المدن، وبأن هذه الزيادة تصاحبها زيادة حجم وكثافة القوات المستخدمة داخل المدن، وهو ما يؤشر إلى أن المناطق الحضرية قد أضحت ميادين مؤهلة لعمليات عسكرية متى استدعت الضرورة الأمنية والسياسية ذلك، وتبين أمثلة كثيرة تطور مؤشر العمليات العسكرية داخل المدن:
- العمليات العسكرية للجيش الأمريكي في بانما عام 1989.
- العمليات العسكرية لقوات التحالف الدولي في مدينة الكويت عام 1991.
- التدخل في لوس أنجلس عام 1992.
- تدخل القوات الأمريكية في موقاديشو عام 1993.
- تدخل قوات الحلف الأطلسي في كوسوفو عام 1999.

يرى الباحث الأمريكي ميشال سي داش MICHEAL C DESH أن هناك أسباباً لزيادة الاهتمام بالمهام العسكرية في المدن بالنسبة للجيش الأمريكي منها⁽¹⁴⁾:

- الانعكاسات السلبية للعولمة، إذ ليست جميع الدول والشعوب على نفس قدم المساواة في استيعاب حركة السلع والخدمات والأشخاص والأموال والأفكار.
- عدد الدراسات التي خصصها الضباط الأمريكيون للحرب في المدن تضاعفت 3 مرات ما بين 1991-2000، مقارنة مع ما أنجز في الفترة الممتدة بين 1966-1991.

وأن 50% من السكان في العالم تسكن في المدن، وحسب تقارير الأمم المتحدة ستنتقل هذه النسبة إلى 70% في أفق 2025. كما تشير نفس الدراسات إلى أن زيادة السكانية بين سنة 2000 و2030 هي 2 مليار نسمة، وأن 1.9 مليار سيكونون في المدينة⁽¹⁵⁾.

- وأن عدد المدن في تزايد مستمر، ففي سنة 1990 كان عدد المدن التي يزيد عدد سكانها عن مليون إلى 10 ملايين نسمة هو 270 مدينة، سيرتفع العدد إلى 516 في غضون 2015.

- أن عدد تدخل الولايات المتحدة عسكرياً منذ 1977 هو 28 تدخلا:

أنتوني جامس جو ANTHONY JAMES JOES أن تطور المدن وتوسع النشاط داخل المناطق الحضرية، كان له تأثير عميق في تحول مفاهيم وأسس حرب العصابات، لأنه مع تطور الأسلحة وزيادة قدرات الجيوش على الاستطلاع والسيطرة قد أفقد عامل المفاجأة والقدرة على الحركة السريعة، لدى حركات التمرد والجماعات الإرهابية ومختلف التنظيمات التي تلجأ إلى حرب العصابات، وأنه مع نهاية القرن العشرين أضحت المناطق الحضرية بتشكيلاتها العمرانية والبشرية وبتعقيدها الميدانية، تعيد تشكيل مفاهيم حرب العصابات على أسس جديدة، بحيث إن المدن أصبحت تتوفر على عناصر الجذب لحرب العصابات التي كانت لا توجد إلا في الأرياف أو الميادين الصعبة المسالك⁽¹³⁾.

3- أسباب تصاعد العمليات العسكرية

داخل المدن: تتربط عوامل كثيرة في زيادة تدخل القوات العسكرية في المدن منها:

- 1- تغير طبيعة النزاعات: فمع نهاية الحرب الباردة تراجع عدد الحروب بين الدول، وزادت حروب داخل كثير من الدول، ورغم أن الحروب الأهلية ليست ظاهرة جديدة، ولكن زيادة حدتها تراجعت بعد الحرب الباردة لعد أسباب.

- 10 مرات في المدن.
- 12 مرة في مناطق مختلطة مدن وخارج المدن.
- ومن مهمة لمشاة البحرية الأمريكية، 237 تمت في المدن⁽¹⁶⁾.
- ويرى روبرت د. كابلان ROBERT D. KAPLAN، في دراسة تحت عنوان الفوضى القادمة، أن شكل تطور مدن إفريقيا الغربية مصدر للنزاعات معقدة، التي قد تهدد ببقاء الدول في حد ذاتها⁽¹⁷⁾.
- وفي دراسة لفريق بحث من الحلف الأطلسي دراسة سنة 2002 حول آفاق 2020، حول التعقيدات التي يشكلها المنشآت القاعدية داخل المدينة والسكان، لأي تدخل عسكري في المدن، تبين أن الفضاءات الحضرية قد أضحت مركز الصناعة والتجارة ومراكز النشاط الاجتماعي، وبفاعل تزايد حجمها وبسبب تواجد مختلف الشرائح الاجتماعية، فإنها مرشحة لأن تكون بيئة الاضطرابات بل والصراعات المقبلة⁽¹⁸⁾.
- إلى جانب هذه المؤشرات، تطورات مهمة دفعت إلى فتح نقاش حول العمليات العسكرية في المدن وهي :
- الفشل الذي منيت به القوات الروسية عند محاولة السيطرة على العاصمة الشيشانية عام 1994.
- مواصلة إسرائيل استخدام القوات المدرعة في الأراضي الفلسطينية المحتلة.
- أداء القوات الأمريكية في المدن العراقية بعد احتلال العراق في 2003 .
- العدوان الإسرائيلي على لبنان عام 2006 التي تركت تأثيرا كبيرا على العقيدة العسكرية الإسرائيلية والأمريكية حول حرب المدن التي يمكن اختصارها كما يلي:
- أن مفتاح تقدم القوات العسكرية في المدينة يجب أن يكون من عدة مناطق مختلفة أثناء مرحلة الاختراق .
- وبالتوازي مع تحرك قوات المشاة، يتم تكثيف الغارات الجوية حسب أسلوب قتال جديد، لا يسعى إلى تحقيق هدف تدمير العدو ولكن إلى شل قدرته على مواصلة القتال (مفهوم الحرب الموازية).
- السيطرة على مواقع ارتكاز ونقاط أساسية (ساحات واسعة، الطرق، بنايات...الخ).
- الانتقال إلى توسيع السيطرة باستخدام سلسلة من العمليات (الضربات ضد القوات معزولة بواسطة التفوق المعلوماتي)، غير أن هذا الأسلوب المطور في حرب المدن، والذي يبدو متماسكا، لا يخلو من نقاط ضعف متعددة منها:

وتركيبة السكان، والتي تتطلب جهدا كبيرا من المعلومات الدقيقة.

تشير العقيدة العسكرية الأمريكية للعمليات المشتركة في المناطق الحضرية، أن نجاح القوات المسلحة يعتمد على عاملين اثنين: طبيعة الميدان ونوعية العدو، ويتحكم هذان العاملان في كل مسار العمليات العسكرية، ويظل النجاح على المستوى التكتيكي، أي قدرة القوات المسلحة المنخرطة في الميدان على تحقيق النصر مرتبطة كذلك بهذين العاملين طوال مراحل المعركة في المدينة⁽¹⁹⁾، ونظرا لكون أغلب مسارح القتال في مرحلة ما بعد الحرب الباردة زاد انتقالها إلى داخل المدن، مما يؤدي إلى تحول عميق لميدان الحروب، بل وفي طبيعة الحرب ذاتها، فالمستوى التكتيكي للعمليات العسكرية بصدد تحول معقد، إذ لم تعد الجيوش تتدرب للقتال على جبهات مفتوحة خالية من المباني والمنشآت العمرانية، ولذلك يوصي كثير من الخبراء العسكريين بتخطيط العمليات العسكرية في المدن على أساس زيادة معتبرة في حجم القوات المهاجمة، يتجاوز نسبة ثلاثة إلى واحد في الفضاء المفتوح، ليصل إلى نسب 8 مقابل واحد في الفضاءات الحضرية⁽²⁰⁾.

وحسب دراسة منشورة للمركز الأوروبي للمعلومات الإستراتيجية CEIS تحت عنوان :

1- أن وضع إستراتيجية تقوم على أساس تحقيق نصر سريع، وبأقصى قدر من الحماية للقوات العاملة والانسحاب بسرعة لا يمكن تحقيقه دون خسائر، قد لا يمكن تحمل تكلفتها السياسية .

2 - أن أساس تنفيذ العمليات العسكرية في المدن، من خلال الغارات الجوية وتقدم بري محدود، قد لا يمكن من تحقيق أهداف العمليات العسكرية، خاصة إذا واجهت مقاومة، لديها إمام بميدان القتال، وتتحصن بالشكل الذي يمكنها من تجاوز ضعفها التكنولوجي .

3- إن هناك مجالا مفتوحا لإعادة استثمار الأوضاع من قبل قوات المقاومة المتحصنة، لتغيير الأوضاع السابقة، فمعركة الفلوجة الأولى سنة 2004 لم تسمح للولايات المتحدة بالقضاء على الجماعات المسلحة التي استقرت في المدينة، مما اضطر القوات الأمريكية إلى العودة ثانية إلى مدينة الفلوجة بعد بضعة أشهر.

4- أن إستراتيجية الغارات ما لم يتم تحويلها إلى هيمنة مستمرة، وليس السيطرة على عدد محدود من المباني فقط، لن تكون في نهاية المطاف إلا حربا محدودة في المدن.

إن هذا الأسلوب في حرب المدن يتطلب درجة عالية من المعرفة بالنسيج العمراني

وتبين دروس التاريخ العسكري الحديث، أن أحد أهم تعقيدات القتال في المدينة، أنه في أغلب الأحيان الطرف الذي يشن الهجوم يتكبد خسائر كبيرة، فالانتشار عبر شوارع المناطق الحضرية هو عامل مضاعف لإمكانية الإصابة، لأن العدو ثابت ومتحصن، ولذا الهجوم في المدينة لا يزال الشكل الأكثر خطورة في العمليات العسكرية، إذ لا يتوفر للقائد الميداني في المدينة إلا خياران لتقليل الإصابة في قواته: تطوير طريقة لخفض تكلفة الهجوم، أو السعي نحو شكل من أشكال السيطرة في المناطق الحضرية تكون أقرب إلى الحصار للضغط دون القيام بتوسيع نطاق السيطرة داخل المدينة⁽²³⁾، غير أن هذا الأسلوب معقد ومؤقت، ففي نظر كثير من المحللين العسكريين السيطرة على المدينة من الداخل لا يتم دون القدرة على تحييد السلطة المحلية والوطنية، وتدمير نظام الدفاع العسكري والأمني، والسيطرة على المواطنين، وهناك حالات تاريخية كثيرة تبين الأشكال المختلفة للعمليات العسكرية التي تمت في المدن:

- تحويل المدينة إلى كومة خراب عام 1968 حرب فيتنام.
- تدمير المدينة قصد توقيع العقوبة، حالة غروزني 1994 - 1995 وعام 1999.

القدرة الجوية والميدان الحضري أن: هناك أمرا بالغ الأهمية في المدينة، التداخل لعدة مخططات في شكل أفقي وعمودي، فناطحات السحاب تشكل ممرات مظلمة بالنسبة للقوات الجوية وصعبة من الجو، وتحتوي المباني على شقق في جميع الإنحاء، مما يوسع خيارات التحرك وإطلاق النار بالنسبة للقوات المتمردة داخل المدينة، كما تشكل الأنفاق والميترو والأقبية شبكة أخرى تحت الأرض لديها مداخل ومخارج⁽²¹⁾.

يعتمد معظم الناس في المجتمعات المختلفة على الخدمات التي تقدمها المراكز الحضرية المختلفة، ولذلك فإن الأنشطة العسكرية في هذه المناطق يجب أن تتم بناء على قاعدتين أساسيتين وهما الحفاظ على أرواح الجنود والسكان، وسلامة البنية التحتية، فعلى القائد العسكري الأخذ بعين الاعتبار المحتوى الاجتماعي والسياسي والثقافي للمدينة، فهي قبل أن تكون ساحة قتال أو مجرد فضاء محدود لنشر القوات، فهي المحيط الذي تتواجد فيه المساكن وأماكن العمل ومصدر التغذية، وهي مقر الإدارات المركزية أو المحلية، فضلا عن المواقع الدينية الثقافية، والاجتماعية، ولذلك فإن التحدي التنفيذي للقائد العسكري هو "تصميم وتنفيذ مهام عسكرية تشبه القيام بعملية جراحية لإيقاف نمو خلايا سرطانية لمريض مع الحفاظ عليه قيد الحياة"⁽²²⁾.

- تدمير المدينة للقضاء على الآخر حالة حرب تفكك يوغسلافيا، تدمير المدن مثل زدار واوسيجاك وفيكوفار.
- مرحلة تشكل جماعات السيطرة على المدينة.
- مرحلة التمرد والمواجهة مع السلطة.

وتمتد هذه التعقيدات لتشمل كذلك أداء قوات الأمن الداخلي من شرطة ووحدات تدخل سريع لمكافحة الشغب، فقد تحولت المدينة إلى مصدر قلق أممي لنشوء الاضطرابات والشغب، حتى بالنسبة لدول كثيرة مستقرة، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، اليونان، تايلاند... الخ(24).

وتوضح أمثلة كثيرة تعقيدات العمليات العسكرية في المدن حتى بالنسبة للجيش العالية التدريب: سراجيفيو، موقاديشو، جنين، غزة، غروزني.

4- خصائص العمليات العسكرية داخل

المدن:

- أن المدن تمثل في بعدها العسكري أو الدبلوماسي مركزا لجميع الرموز السياسية والثقافية والاقتصادية للدولة، حسب حجمها، فالمدينة هي مركز أهم التفاعلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية (25).

- تعتبر المدن من الناحية العسكرية أحد أهم مركز ثقل الحرب، أي أنها هدف للعمليات العسكرية لإضعاف إرادة الخصم على المقاومة، والمدن إما مركز ثقل سالب،

- الاستيلاء على المدينة دون السعي إلى تدميرها كهدف تكتيكي، لإجبار طرف على التفاوض أو الاستسلام، صراع داخلي على السلطة، والنموذج الأكثر بروزا هو حالة المعارضة الليبرية في ليبيريا. والتي أجبرت شارل تايلور على التنازل عن الحكم بعد السيطرة على العاصمة مانروفيا في أوت 2003، وبطريقة أكثر سلما حالة المعارضة في جورجيا عام 2003، عندما أجبرت الرئيس الجورجي إدوارد شافرنادزي على الاستقالة ودفعت بالمواطنين إلى السيطرة على كل شيء في المدن بما فيها المقرات الحكومية.

- محاصرة المدينة والضغط عليها حالة بيروت غزة.

- إبقاء المدينة في حالة استنفار أممي لاستنزاف الآخر، إستراتيجية الجماعات الإرهابية، أحداث 11 سبتمبر 2001.

- بالإضافة إلى شكل آخر يتعلق باستخدام المدينة للتمرد على السلطة القائمة، والتي تتم على 4 مراحل:

- مرحلة الدعاية والاتصال.
- مرحلة الإرهاب داخل المدينة.

الدبابات مع سلاح المشاة في عمليات السيطرة داخل المدينة.

- أن هناك صعوبات كثيرة أمام وظيفة القيادة والتحكم في المدينة، حيث صعوبة الاتصال بسبب البنايات، ووجود شبكة اتصال داخل المدينة، ويزداد الأمر تعقيدا بالنسبة لمعدات وأجهزة القوات الخاصة، التي تعتبر القوات الأكفأ للتدخل في المدينة⁽²⁷⁾.

- صعوبة التحديد بواسطة أجهزة تحديد المواقع العالمي GPS، صعوبة التمييز بين القوات الصديقة والمعادية، ولذلك تزداد نسبة الإصابة في القوات الصديقة.

- التشابك العمراني الذي لا يسمح للقيادة العسكرية بتكوين نظرة شاملة لميدان العمليات العسكرية، ويطرح ذلك مشكلة مزدوجة، أولاً أن الجنود قد يجدون أنفسهم بسرعة معزولين عن باقي الوحدات، خاصة في الممرات الضيقة والمتاهات، وثانياً أن القادة العسكريين قد يضطرون إلى اتخاذ قرارات دون الإلمام الكافي بوضعية القوات في المدينة، مما يعيق نجاح العمليات العسكرية، ويتسبب في أخطاء مكلفة.

- الانتباه للمفاجآت وخداع العدو، الذي ينتشر خلف الأبواب والنوافذ والممرات والأسطح والأقبية.

عندما يمكن تحييد صعوبة ميدان القتال الذي تشكله، كحالة الإستراتيجية الأمريكية في حرب احتلال العراق عام 2003، بعدم التورط في حرب المدن، بالالتفاف حولها وتحويلها إلى مراكز سلبية في تخطيط وتنفيذ العمليات العسكرية، أو مركز ثقل إيجابي، عندما تكون المدينة ميداناً إجبارياً للعمليات العسكرية، وأحسن مثال عن ذلك الهجوم الألماني من الأردن LES ARDENNES عام 1944.

وهناك جملة من الخصائص مرتبطة بالمدينة تحدد شكل العمليات العسكرية ومنها:

- في المدينة يتم تخطيط العمليات العسكرية حسب طبيعة الميدان الحضري، وليس حسب نوعية المعركة القائمة⁽²⁶⁾.

أن العمليات تحدد بكثافتها: حجم الوحدات في المكان وحجم المهام لكل وحدة عسكرية في وحدة الزمن.

- إن المدن تحدد العمليات العسكرية في جميع المستويات، وإن لكل مدينة خصائصها الجغرافية، ولذلك تختلف التشكيلات الجغرافية بعدد المدن.

- أن طبيعة المدن هي التي تحدد نوعية الأسلحة المستخدمة ومعدات الرصد والمراقبة، وعادة تميل الجيوش إلى استخدام

أما في ما يخص سلاح الدبابات، فهناك جدل عميق حول كفاءة هذا السلاح في أداء مهام حفظ الأمن والاستقرار، والسيطرة على المدن، أو في الاستيلاء على المدن ومحدودية أدائها في مكافحة الإرهاب والتمرد داخل المدن، وفشلها في التعامل مع حالات العصيان والتمرد المدني.

وقد عزز الفشل الروسي للسيطرة على مدينة غروزني في الفترة الممتدة بين 1994 و1996 الشكوك في خصائص الحماية التي تمتعت بها الدبابة منذ دخولها إلى ميدان القتال في معركة كامبري سنة 1917 في الحرب العالمية الأولى، وهو ما يتناقض مع تيار متحمس لسلاح الدبابات بفعل الدور المميز لهذا السلاح في حرب الخليج الثانية، لا سيما في مرحلة الهجوم البري من 24 إلى 27 فيفري 1991، أو في احتلال بغداد وبقية المدن العراقية عام 2003.

وتبين المقارنة بين أسلوب اقتحام الروس لمدينة غروزني عام 1994، والأسلوب الأمريكي في اقتحام بغداد بتاريخ 7 أفريل 2003 مؤشرات مثيرة للجدل حول أداء سلاح الدبابات في المناطق الحضرية، فقد اقتحمت 3 ألوية من سلاح الدبابات وناقلات الجنود والعربات القتالية التابعة لسلاح الهندسة الأمريكي، واستطاعت السيطرة على النقاط الرئيسية لمدينة بغداد بنفس الأسلوب الذي اتبعته القوات الروسية في مدينة

- صعوبة الحركة داخل المناطق الحضرية، ذلك أن أحد أهم القواعد التكتيكية في العمل العسكري في المدينة، هي تقليص الحركة في الشوارع والممرات والمناطق المكشوفة، لأنها تعتبر حقول نيران سهلة بالنسبة للقوات المتحصنة.

- محدودية حركية القوة العسكرية، لأن تنفيذ أية مهمة مرتبط بضرورة الاختيار الدائم لأسهل الطرق وأقربها وأكثر أمنا من نيران القوات المتحصنة.

- محدودية تأثير الأسلحة في المدن، فرغم الأداء المتميز لطائرات الهيلوكوبتر في دعم العمليات العسكرية، نظرا للخصائص التي تميز أداءها كالسرعة والمفاجأة، والقدرة على تأمين نقل الجنود والاقترام الجوي، والمناورة والقدرة على النزول في أماكن مختلفة (28)، لكن هناك عوامل كثيرة تحد من استخدام هذا السلاح، منها:

- انتشار شبكة الخطوط الكهربائية يعيق طائرة الهيلوكوبتر في عمليات النزول أو الطيران المنخفض.

- سطوح المنازل التي قد تتحول بسرعة إلى قواعد لمهاجمة طائرات الهليكوبتر بصواريخ أرض جو .

- ارتفاع بنايات يحد من قدرة طائرات الهيلوكوبتر على المناورة والاستطلاع⁽²⁹⁾.

وإعلامية شديدة التأثير تصعب السيطرة عليها.

إن صعوبة العمليات العسكرية في المدن مرتبطة كذلك بتطور أشكال النزاعات في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، إذ أن زيادة تدخل الأمم المتحدة في عمليات حفظ الأمن في المناطق الحضرية، قد دفع بكثير من المحللين إلى دراسة تأثيرات استمرار تواجد القوات المسلحة على جاهزية هذه القوات وقدراتها في تنفيذ مهامها، وقد طرح الجنرال روبرت سميث مفهوم جديد لأداء القوات العسكرية في المدن هو الحرب وسط الناس، التي يرى أنها إطار مفهومي، يعكس حقيقة صعبة مفادها أن ما من ميدان قتال منعزل يشترك فيه الجيشان، وقد لا تكون ثمة بالضرورة جيشان على الطرفين معا، إن الحرب وسط الناس واقع يكون فيه ميدان القتال كل الناس في كل مكان في الشوارع وفي البيوت، فالاشتباكات العسكرية يمكن أن تقع في أي مكان، بوجود مدنيين ضد مدنيين، ودفاعا عن مدنيين، فالمدنيون هم الأهداف وهم المقاصد، بقدر ما يشكلون قوة مواجهة⁽³²⁾.

وحسب الكاتبان أرنو دو لاقرانج وجان ماركلانش ARNAUD DE LA JEAN -MARC BALENCIE وGRANGE فإن مستقبل الحرب سيمر حتما عبر المدينة، وبالخصوص المدن الكبيرة في دول الجنوب

غروزني عام 1994، دون حماية كافية لمؤخرة القوات والأجناب للقوات المهاجمة⁽³⁰⁾.

-أنه في كلتا الحالتين تعرضت الدبابات إلى مقاومة عنيفة داخل المدينة.

-أنه في الحالة العراقية كانت موجات المقاومة غير منظمة وغير منسقة وتفتقر إلى التخطيط.

-أن المقاومة الشيشانية كانت منظمة ومنسقة ضمن وحدات خفيفة الحركة وجيدة التسليح.

-أن الدبابات الأمريكية والروسية ناورت في ميادين ذات شوارع واسعة.

إن تأثير سلاح المدفعية في حرب المدن يعتمد على دقة هذا السلاح، ودقة الذخائر والمعدات المستخدمة حيث إن من أكثر المشكلات التي تواجه الفرق المدفعية في المدن، الحاجة الماسة إلى ذخائر ذكية ذات دقة عالية، ففي عمليات الجيش الروسي الأولى في غروزني، كان أداء سلاح المدفعية غير فعال، بسبب قلة التدريب القليل الذي أضعف كفاءة أطلق المدفعية، وضعف صيانة المعدات، والنقص الحاد في ما يخص أنظمة الرصد التابعة لسلاح المدفعية وأنظمة الاتصال⁽³¹⁾، كما أن الأضرار البشرية والمادية الناجمة عن القصف المدفعي، تؤدي في غالب الأحيان إلى انعكاسات سياسية

كلها عوامل تشكل جزءا هاما لضباب الحرب في المدن⁽³⁴⁾.

ويتم كل هذا بدون القدرة على استغلال عنصر آخر في تفوق القوي على الضعيف وهو التفوق الجوي، الذي قد يكون في أحيان كثيرة عديم الفائدة، نظرا لاحتمال الإصابة بالنيران الصديقة والخسائر الجانبية والتي تفرز تأثيرات سلبية على المستوى السياسي والإعلامي.

1- عمليات الجيش الروسي في مدينة غروزني 1994-1996: خلفت عمليات الجيش الروسي في مدينة غروزني، انطباعات سيئة ليس على القوات الروسية فحسب، ولكن على أية قوة عسكرية تخطط للتدخل في المدينة.

وقد اعتبرت معركة غروزني نموذجا أوليا لنوع الحروب اللامتماثلة القادمة في المناطق الحضرية، ومثالا على حالة قوة عسكرية متفوقة في التسليح تنهزم أمام قوات لا متماثلة محدودة التسليح⁽³⁵⁾.

إن العامل النفسي المتمثل في النزعة التاريخية المتأصلة في المجتمع الشيشاني للتحرر من الهيمنة الروسية، قد ساعدت في تعبئة القوات والإمكانات المتوفرة للشيشان في مواجهة القوات الروسية.

لقد واجهت القوات الروسية في الهجوم على غروزني تصميم مقاومة الشيشان على

ذات الكثافة السكانية العالية، والتي تنمو بشكل فوضوي، ومشكلة مسرح لأشكال متعددة للعنف الإرهاب، الجريمة المنظمة، التمرد الأوبئة والتلوث، لأن حجم المناطق الحضرية يمثل البيئة المثلى التي يحلم بها المتمردون "المبدعون" الذين يستعطون التماهي مع الكتل البشرية التي تعيش في هذه المناطق⁽³³⁾.

إن انتشار المناطق الحضرية في مسرح العمليات العسكرية يعطي الأفضلية التقليدية للمدافع على المهاجم، ويعيد النظر في موازين القوى، فميزة المناطق الحضرية بالنسبة للطرف الضعيف أنها تلغي جزءا من التفوق التكنولوجي للطرف القوي.

- إن العناية الأولى في التخطيط للعمليات العسكرية في المدن تتجه إلى تأمين السكان، إذ يجب العناية بهم وضمان سلامتهم، وضمان حصولهم على الغذاء والدواء، وهكذا يغدو التداخل بين الفصائل المتحاربة والسكان المدنيين، عائقا مستمرا لاستطلاع ميدان القتال، ويحيل التخطيط إلى مهمة في غاية الصعوبة والتعقيد، فتزداد احتمالات الأخطاء الجانبية المكلفة. إن تواجد آلاف المدنيين في مجال محدود، وذي طبوغرافيا معقدة، وطرق ومسالك صعبة لحركة القوات المسلحة،

الفيدرالية، التي كانت تواجه جملة من التحديات، سيما ما تعلق بالصراع على السلطة في موسكو، كما يعود أيضا إلى الحفاظ على النفوذ الروسي في مراقبة أنابيب نפט بحر قزوين الواعد بمصادر الطاقة، وقد شكلت هذه الدوافع كلها عوامل ضغط وتسرع في اتخاذ قرار استخدام القوة، دون التخطيط المسبق لمسار العمليات العسكرية، وفهم طبيعة ميدان القتال ومكوناته، ولذلك كان الهجوم الروسي على العاصمة الشيشانية عام 1994، خاليا من الخبرات والدروس التاريخية المتراكمة لدى الجيش الروسي في حرب المدن.

قامت خطة الهجوم الروسي على مدينة غروزني على أسس تقليدية في عمليات السيطرة على المدن، إذ سعت عمليات الهجوم للسيطرة على العاصمة الشيشانية من خلال 3 محاور للوصول إلى القصر الرئاسي، بواسطة قوات مدرعة تدعمها قوات المشاة، وبعد عملية تثبيت السيطرة على المدينة، تدعم بقوات وزارة الداخلية للسيطرة والتحكم في المدينة، وتطلب تنفيذ ذلك حشد أكثر من 50000 جندي. بدأ الهجوم الفعلي في 31 ديسمبر 1994 بتحريك القوات الروسية على 3 محاور للسيطرة على مدينة غروزني، كانت نسبة تفوق القوات الروسية من حيث العدد هي 6 إلى 1 (36).

المواجهة، يدعمها التمتع بأفضلية الإمام بطبيعة ميدان المعركة، والاستعداد المسبق في تنظيم الدفاع عن المدينة والحصول على دعم السكان.

ويعتبر الهجوم الروسي على مدينة غروزني أكبر عملية عسكرية تتم في المناطق الحضرية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد تمت بعد مضي ست سنوات على انسحاب القوات السوفياتية من أفغانستان، وقد كان الجيش الروسي يتمتع بتراكم التجارب التاريخية، المتمثلة في حصيلة تجارب الحرب العالمية الثانية، فالقوات العسكرية للاتحاد السوفياتي تواجدت في أكثر من 100 مدينة خلال هذه الحرب، كما أن قوات الجيش السوفياتي اجتاحت عدة مدن إبان الحرب الباردة، برلين الشرقية سنة 1953، بودابست عام 1956، براغ في سنة 1968 وكابول سنة 1979.

يعود قرار استخدام القوة العسكرية ضد جمهورية الشيشان عام 1994 إلى جملة من الأسباب والدوافع المترابطة، منها هواجس الحكومة الروسية بقيادة الرئيس بورييس إلتسين، من امتداد لهيب الانفصال والتمرد إلى باقي المقاطعات الروسية الأخرى، في ضوء حالة الضعف الاقتصادي والسياسي الذي كانت تمر به روسيا الفيدرالية، كما تعود إلى رغبة الحكومة الروسية في تثبيت سلطة الحكومة

2- عمليات الجيش الأمريكي في

الفلوجة 2004: في التحضير لمعركة الفلوجة 2004، درس الأمريكيون بعناية عمليات الجيش الروسي في الهجوم على العاصمة الشيشانية، حتى لا يكرروا نفس الأخطاء، بدأت الهجوم الأمريكي على مدينة الفلوجة التي تقع في محافظة الأنبار، بسبب مقتل أربعة أفراد من المرتزقة من شركة بلاك وتر الأمريكية التي تقوم بمهام أمنية لصالح قوات التحالف، قامت قوات مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) في أبريل 2004 بمحاصرة المدينة لإخراج المقاومة العراقية المحصنة في المدينة، وأدت عمليات الجيش الأمريكي في المدينة إلى مقتل 40 جندياً من المارينز وحوالي 730 قتيل من المقاومة العراقية⁽³⁸⁾.

قامت القوات الأمريكية على إثرها بمحاصرة مدينة الفلوجة بالفصل بين أفراد المقاومة العراقية والسكان في 9 أبريل 2004 عندما سمحت لما يقارب 70,000 من سكان المدينة بمغادرة المدينة، أعلنت القوات الأمريكية من جانب واحد وقف إطلاق النار، في 10 أبريل 2004 للسماح بالمساعدات الإنسانية بدخول المدينة ودخل وفد مفاوض المدينة لعقد الصلح ولكن الوفد فشل في مساعاه وبدأ الصراع مرة أخرى في 12 أبريل 2004.

وتعود أسباب فشل الهجوم الروسي على غروزني إلى عوامل كثيرة منها :

1- افتقار قيادة القوات الروسية المهاجمة إلى وحدة القيادة والسيطرة، حيث إن القوات المهاجمة على 3 محاور فقدت القدرة على تنسيق العمليات فيما بينها، كما أن القيادة والسيطرة على هذه القوات كانت تخضع لعدة مراكز للقيادة في موسكو، وهي وزارة الدفاع والداخلية والقطاع العسكري الإقليمي لمنطقة القوقاز، مما أفقد الهجوم القدرة على التنسيق وتوجيه العمليات العسكرية بشكل واضح⁽³⁷⁾.

2- عمليات اقتحام مدينة غروزني كانت تتم بتقدم الدبابات على طول شوارع المدينة، في شكل متواز، ودون أن تكون محمية بقوات المشاة، مما أفقدها القدرة على تنسيق النيران والدعم.

3- عجزت القوات الروسية طوال شهر جانفي 1994 في السيطرة على مدينة غروزني، مما سمح للمقاومة الشيشانية أن تنظم دفاعات المدينة، وفي منتصف شهر فيفري بدأت قوات المقاومة الشيشانية في استخدام الجبهة الجنوبية للمدينة (والتي كانت خالية من القوات الروسية) لتنظيم انسحاب جزئي نحو المناطق الجبلية.

فشل المرحلة الأولى من العمليات العسكرية في الفلوجة، وتم رصد العوامل التالية:

- بطء نسبي في الهجوم بسبب ثبات وتيرة العمليات العسكرية، نظراً لصعوبة الحصول على قوات أخرى.

- التأثير المحدود للأسلحة الداعمة لا سيما سلاح الطيران والمدفعية بسبب الخوف من الأضرار الجانبية وتأثيرها إعلامياً⁽³⁹⁾.

- تردد في اتخاذ قرار شن الهجوم على الفلوجة، بسبب انشغال البيت الأبيض بانتخابات الرئاسة، لإعادة انتخاب الرئيس جورج و لكر بوش.

وعندما استطاعت القيادة الأمريكية أن تتجاوز هذه العراقيل، بعد إعادة انتخاب الرئيس جورج. و بوش، تم تحقيق :

- تشديد عملية الحصار على الفلوجة لمنع وصول الإمدادات إليها، كما تم تنفيذ عمليات حرب نفسية نحو السكان بإسقاط المناشير التي تطالبهم بمغادرة المدينة قبل بداية العمليات العسكرية⁽⁴⁰⁾، مما يمكن القوات الأمريكية من تحديد الخسائر الجانبية من السكان، ولذلك كانت المرحلة الثانية من حرب الفلوجة قد تمت بدون توفر الغطاء البشري للمسلحين العراقيين.

- تم حشد قوات من الجيش الأمريكي في العراق والقوات العراقية في حجم يقارب فرقة عسكرية، لمواجهة ما بين 2000 إلى

اكتفت القوات الأمريكية بمراقبة واستطلاع مدينة الفلوجة لمعرفة تطور الأوضاع، وإرسال الطائرات التي كانت تقوم بغارات جوية على معازل المقاومة في مدينة الفلوجة من حين لآخر.

بعد أن أحكمت القوات الأمريكية سيطرتها على نصف المدينة في بداية شهر ماي، تم وقف إطلاق النار من جانب واحد وللمرة الثانية وتم عقد صلح اقتضى تسليم المدينة إلى قوة عسكرية عراقية قوامها 1000 جندي بقيادة ضابط عراقي سابق في الجيش العراقي، يتولى مهام السيطرة الأمنية على المدينة وكبح نشاط المقاومة العراقية من وفي هذه المدينة. غير أن سرعة انهيار هذه السلطة وعجزها في منع عودة نشاط المسلحين، أعادت تدخل القوات الأمريكية، في شكل غارات جوية مكثفة، وبعد إعلان الحكومة العراقية حالة طوارئ لمدة 60 يوماً في 7 نوفمبر 2004، بدأت المرحلة الثانية من العمليات العسكرية للقوات الأمريكية في الفلوجة، والتي اعتبرت أضخم عملية عسكرية في حرب المدن تقوم بها القوات الأمريكية، منذ معركة هيو في الفيتنام عام 1968، وبدأت بتوغل القوات الأمريكية والسيطرة على مركز المدينة، والانتشار عبر المناطق الأساسية في المدينة.

استغل الأمريكيون مرحلة التوقف لمراجعة الوضع العسكري ومعرفة أسباب

للتكنولوجيا الجديدة، والتي يربطها بالتغير العميق في العقيدة العسكرية والمفاهيم العملياتية والتنظيمية تحدث أثرا عميقا في طبيعة وإدارة العمليات العسكرية" (42)، إن أحد أهم القضايا التي تثير الجدل، من خلال هذا التعريف، هو مسألة التغير العميق في طبيعة الحرب، فحسب كل من أندرو مارشال وإلفين توفلر وأندرو كرابنفيتش، تكتسي عملية تغير طابع الحرب مع الثورة الجديدة في الشؤون العسكرية شكلا ثوريا، تكون الحرب بموجبه قد دخلت مرحلة جوهرية، يعاد النظر في المفاهيم التي بدأت مع كلاوزفيتز وتطورت في الثورة الصناعية.

وتكتسي أفكار هذا التيار انقلابا واضحا في أسس ومسلمات الشؤون العسكرية، سواء تعلق الأمر بنوعية الأسلحة التي أصبحت دقيقة التوجيه أم في تدخل الوسائط العسكرية الجديدة كالمستشعرات والأقمار الصناعية أم في تنظيم وحدات الجيش، وانتهاء بأسلوب القتال المكثف في العقيدة العسكرية الجديدة.

لكن ما يمكن ملاحظته مع الانتشار المتزايد لنفوذ وتأثير هذا التيار في الولايات المتحدة ودول أعضاء الحلف الأطلسي، هو محدودية تأثير الثورة العسكرية الحالية في العمليات العسكرية في المدن، وفي توجه

3000 عراقي مسلح متحصن في مدينة الفلوجة (41).

بدا الهجوم الأمريكي في 8 نوفمبر 2004 من الشمال إلى الجنوب، بتوظيف التفوق الناري، والقدرة على استهداف القوات المتحصنة، نظرا للرصيد المعلوماتي من جراء أسابيع من الرصد بواسطة طائرات بدون طيار، وتمت السيطرة على مدينة الفلوجة في خلال أسبوع من العمليات العسكرية، وبتكلفة أقل مما كان متوقعا.

5- العمليات العسكرية في المدن وتحول

الحرب: منذ نهاية حرب الخليج الثانية 1991، اشتد النقاش حول الثورة الجديدة في الشؤون العسكرية، التي ظهرت ملامحها الرئيسية في أسلوب قتال الجيش الأمريكي، خاصة في سلاح الطيران، وقد تطور هذا النقاش على مراحل ليصل مع الرئيس الأمريكي السابق جورج وركر بوش إلى الانتقال بالثورة في الشؤون العسكرية إلى مرحلة التكريس الفعلي في المفاهيم ونظم التسليح والتنظيم القوات المسلحة الأمريكية، تحت مسمى جديد هو التحول العسكري military transformtion، والذي يعتبر انتصارا لتيار الثورة في الشؤون العسكرية في وزارة الدفاع الأمريكية والبيت الأبيض، تعرف الثورة في الشؤون العسكرية على أنها: تغير عميق في طبيعة الحرب، تم بفعل استباط تطبيقات جديدة

العسكرية وقضوية تحول الجيش الأمريكي، بل أن المناطق الحضرية هي الرهان الحقيقي للقضايا الكثيرة المثيرة للجدل في المستقبل المنظور(44)، فسواء تعلق الأمر بتحول الحرب أم تطورها، فإن المناطق الحضرية تطرح ثبات كثير من المفاهيم التي انهارت مع الثورة الجديدة في الشؤون العسكرية، فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية : الفضاء الذي تدور فيه النزاعات، ويمكن رصد أهم هذه الثوابت :

- قدرة القوات المدافعة في المناطق الحضرية على التماسك والصمود .
- تزايد الأفضلية للطرف الذي لا يعرض حياة السكان في المدن للخطر.
- الإحجام عن خوض العمليات العسكرية ذات التكلفة الكبيرة في المدن.

كما أن وتيرة التسارع في تطور أجيال التسليح منذ نهاية حرب الخليج الثانية لم تغير بشكل واضح أساليب القتال في المدن، فلا تزال القوات مجبرة على خوض قتال في المناطق الحضرية، بشكل مجزأ، أي الاضطرار إلى الاشتباك مع القوات المحصنة في كل بناية وفي كل بيت، ولا يبدو في الأفق ثمة مؤشرات تؤكد نجاحات التكنولوجيا العسكرية في المناطق الحضرية بنفس الحجم الذي جربت فيه في الميادين الأخرى الخالية من السكان.

معاكس لتيار العولمة قدم المؤرخ العسكري مارتين فان كرافليد Martin Van Carveld ، أطروحة مثيرة للجدل حول تحول الحرب، معتبرا أن هناك تحولات عميقة لمفهوم الحرب قد بدأت تتأكد بشكل واضح منذ نهاية الحرب الباردة، حيث إن الحرب لم تعد من اختصاص الدول، بعد أن تزايدت النزاعات داخل الدول، جراء الحروب الأهلية والانقسامات الإثنية والطائفية، وتطور ظاهرة الإرهاب، ولذلك فإن الحرب حسب مارتين فان كرافليد تتجه نحو تجاوز مسلمات كارل فون كلاوزفيتز، من أن الحرب هي استمرار للسياسة، وأن هدف الحرب هو فرض إرادة على الخصم وأن الحرب يسيطر عليها طابع عدم اليقين، وقد بين في كتابه تحول الحرب أن الجيوش التي تقوم على هذه المسلمات ليست مؤهلة لمواجهة الشكل الجديد للحرب، حيث ميادين القتال وأطراف النزاع تختلف كلية عن حروب القرن التاسع عشر والقرن العشرين(43)، بالإضافة إلى أن أجيال الأسلحة المتطورة لا تجدي نفعا في مواجهة الطيف الجديد من التحديات التي تطرحها التنظيمات المافيوية وكارتل المخدرات، والجماعات الإرهابية والمليشيات المسلحة.

وفي خضم هذا الجدل ، تعتبر المناطق الحضرية أحد أهم ميادين القتال التي تتحدى مفاهيم الثورة الجديدة في الشؤون

5- الاستنتاجات:

أن تنفذ في إدارة العمليات العسكرية، بالإضافة إلى العمليات النفسية التي تسعى إلى ربح معركة القلوب والعقول.

ومن منظور آخر، فإن تعقيدات العمليات العسكرية في المدن تكشف أيضا عن تعقد الصراعات الحالية، وجزء من تطور طبيعة الحرب في حد ذاتها.

- الحرب في المدن خطر على الجيوش العصرية، وهي مصيدة حقيقية للقوات النظامية، وإذا كانت هناك متطلبات سياسية أو أمنية ملحة، للدفع بالقوات المسلحة للتدخل في المدن، بعد أن ظلت بعيدا عن هذا الميدان، فإن هناك ضرورة قائمة تدفع إلى مراجعة وإعداد أساليب تدخل الجيوش في هذا الميدان الصعب.

- إن تكييف القوات المسلحة للتدخل في المدينة، لا تتوقف عند حدود التدريب لتنفيذ مهام عسكرية داخل المدينة، بل إلى إدراك التحول المستمر لميدان التدخل الذي تمثله المدينة، إذ إن مسار تكييف الجيش للتدخل في المدينة يأخذ بعين الاعتبار 3 أبعاد :

أ- التأثيرات الفيزيائية لميدان المدينة.

ب- خصائص المهام العسكرية في المدينة.

ج- البيئة السياسية خلال عمليات التدخل العسكري في المدينة.

- تزايدت في فترة ما بعد الحرب الباردة العمليات العسكرية في المدن، وشكل انتشار الوحدات العسكرية داخل المدن هاجسا سياسيا وعسكريا بالغ التأثير، لما تنطوي عليه المدينة من ثقل سياسي واستراتيجي متعدد الأبعاد، وتتطلب الحرب في المناطق الحضرية نهجا جديدا، أكثر شمولا من ذي قبل، فالعمليات العسكرية الحضرية، تتطلب تنسيقا لكافة الجهود العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية والثقافية والقانونية والإعلامية.

- على الرغم من أهمية الدور المحوري للقوات العسكرية في المدن، في حسم الموقف عند مواجهة العسكرية، سواء تعلق الأمر بمهاجمة جماعات متحصنة، أم قصد السيطرة على المدينة، فإنها ليست الطرف الوحيد المؤثر في تطور الأحداث، إذا أن هناك أطرافا أخرى من المجتمع المدني، والمنظمات غير الحكومية، والوكالات الحكومية والمنظمات الدولية ووسائل الإعلام، تساهم في التأثير على تطور الأحداث ونتائجها.

- يواجه الجنود تحديا من نوع خاص في المناطق الحضرية، يتطلب إعادة النظر في التخطيط، ومذاهب القتال، وأنماط التكتيكات والتقنيات العملية التي ينبغي

Plans and Joint Force Development Directorate, J7, Joint Doctrine Division, 16 September 2002), p. 1.

(4) IBID.

(5) سن تسو، ترجمة وتحقيق جمال نجيب التلاوي، فن الحرب، دار الهدى للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2006، ص23.

(6) FISHER, TODD, the Napoleonic wars, osprey publishing, 2001, p. 26.

(7) HOWARD, MICHEAL, The Franco-Prussian War: The German Invasion of France 1870-1871, New York: Routledge, 2001, p. 97.

(8) RUBERT, SMITH (général), l'utilité de la force, ECONOMICA, 2006, p.34.

(9) FERRO, MARC, La Grande Guerre, 1914-1918, Gallimard, paris, 1990. P.38.

(10) DEWAR MICHEAL :War in the Streets. The Story of Urban Combat from Calais to Khafji, David & Charles London, BCA, 1992.

(11) HENROTIN, JOSEPHE, bien venue en ville, le passé, le présent et future

- إن المناطق الحضرية هي الميدان المثالي لتحديد القدرات العسكرية للطرف القوي، فالقوات المسلحة لا يكفي أن تكون مجهزة بأحدث العتاد ومتفوقة بالنيران، لكي تستطيع السيطرة على عدو لا تماثل، ولذلك تزايد لجوء حركات التمرد والإرهاب في المدن، لتجاوز معضلة تفوق القدرات التكنولوجية والتنظيمية لدى الجيوش وقوات الأمن، مما استدعى زيادة جاهزية قوات الأمن ووحدات القوات المسلحة للتدخل في المناطق الحضرية، وقد زادت الولايات المتحدة الأمريكية، وكثير من الدول، في كثافة الاستعداد والتجهيز لخوض عمليات عسكرية داخل المدن، للرد على جملة من أطياف التهديدات اللامتماثلة.

الهوامش:

(1) SPILLER ,ROGER .R : Sharp corners: Urban operations at century's end, U.S. Army Command and General Staff College Press, 2001,p.7.

(2) اندري بوفر (جنرال)، مدخل إلى الإستراتيجية العسكرية، دار الطليعة بيروت، 1968، ص14.

(3) Director for Force Structure, Resource, and Assessment (J8), Joint Publication 3-06 Joint Doctrine for Urban Operations (Washington D.C.: Operational

(18) North Atlantic Treaty Organisation Research and Technology Organisation, Report by the RTO Study Group into Urban Operations in the year 2020 for the NATO Research and Technology Organisation North Atlantic Treaty Organisation, Brussels, 24 May 2002.

(19) Joint Pub, op cit

(20) HILLS ALIC :Future War In Cities: Rethinking a Liberal Dilemma, Routledge, 2004.

(21) Européenne d'intelligence stratégique Compagnie, puissance aérienne et théâtre urbain, p11

http://www.cesa.air.defense.gouv.fr/img/pdf/puissance_aerienne_et_theatre_urbain.pdf

22 HILLS A, op cit, p.199.

(23) Hahn, R. and B. Jezior, 'Urban Warfare and the Urban Warfighter of 2025', Parameters (Summer 1999), p. 74-86.

(24) HAHN, R, Urban Warfare, op cit .

(25) HENROTIN , OP CIT , p27-64

des opérations air urbain, les cahiers du REMS, Volume III, numéro 1, été 2006, pp 27-26.

(12) Du Four, Jean-Louid, L'armée Face A La Ville, Les Annales De La Recherche URBAINE N°91, décembre 2001, pp35-41.

(13) Anthony James Joes, Urban guerrilla warfare, The University Press of Kentucky, Kentucky, 2007, p.6.

(14) Desh ,Micheal C, « why mout Now ? », soldiers in Cities, Strategic studies Institute,2001,p.3 .

(15) Rosenau ,W.G., «Every Room Is a New Battle: The Lessons of Modern Urban Warfare», Studies in Conflict & Terrorism, n°20, 1997, pp. 261-276.

(16) Henrotin, Joseph : bienvenue en ville. le passe, le présent et le futur des aerurbaines, les cahiers du REMS, Volume III, numéro 1, été 2006,p 27-64

(17) Kaplan, Robert: The Coming Anarchy: How scarcity, crime, overpopulation, tribalism, and disease are rapidly destroying the social fabric of our planet, *The Atlantic Monthly*, February 1994, p. 1.

bâtardes , Comment l'Occident perd les batailles, édition PERRIN,2008, p.117.

(34) G. MARTIN (col), la prise de Bagdad, doctrine, n3 juin 2004 , p41-42.

(35) ARNAUD DE LA GRANGE , JEAN –MARC BALENCIE, Les guerres batardes comment l'occident perd les batailles du XXI siècle p.57 , collection tempus , paris, édition perrin., 2008

(37)Centre de doctrine d'emploi des forces,l'enfer de grozny(1994-2000), cahier du RETEX, p.4

http://www.cdef.terre.defense.gouv.fr/publications/cahiers_drex/cahier_retex/enfer_grozny.pdf

(37) De La Regontais, Ronan Haicault (Capitaine), GROZNY: les leçons d'un échec, DOCTRIN, N3 juin 2004, p48.50.

(38) Centre de doctrine d'emploi des forces : Les Fantômes furieux de Falloujah" Opération Al-Fajr/Phantom Fury (juillet-novembre 2004), Les cahiers du retex centre de doctrine d'emplois des forces, p. 56.

(39) LOC.CIT

(26) LOC.CIT.

(27)Postec , Daniel (COL),Vers une nouvelle approche doctrinale des actions dans les zones urbanisées, doctrine N° 3, juin 2004 ,p.12

(28) Henrotin , Op Cit , pp. 27-64

(29) Evans, Michael, City Without Joy : Urban Military Operations into the 21st Century , Australian Defence College Occasional Paper No. 2, 2007

(30) Durans, François :[Prendre la ville : trois exemples stratégiques contemporains](http://www.alliancegeostrategique.org/2009/04/23/prendre-la-ville-trois-exemples-strategiques-contemporains/),

<http://www.alliancegeostrategique.org/2009/04/23/prendre-la-ville-trois-exemples-strategiques-contemporains/>

(31) Wallwork, Richar, D, Artillery in Urban Operations: Reflections on Experiences in Chechnya, Master's thesis,Army command and general staff college Fort Leavenworth , 2004,p.33.

<http://www.dtic.mil/cgi-bin/GetTRDoc?AD=ADA429031>

(32) R. SMITH, l'utilité, OP. CIT p.8.

(33) DE LA GRANGE, ARNAUD et BALENCIE JEAN – MARC, Les guerres

(40) TAO, HUNG Chang : The Battle of Fallujah: Lessons Learned on Military Operations on Urbanized Terrain (MOUT) in the 21st Century, 2008, p. 22-37.

(41) Andrew. w. Marshal, Revolutions in Military Affairs, statement prepared for the Sub committee on Acquisition & Technology, (Washington: Senate Armed Services Committe, May 5, 1995), p.1.

(42) Martin Van Craveld, traduit de l'anglais par Jerom Bodin, la transformation de la guerre (Paris: Edition de rochier, 1998), p59.

(43) HILLS ALIC: Future War, p.142.

(44) HAHN, R, Urban Warfare, op cit.p.86.